

لم قبل الدستور وبعده ، وكنت أول من دافع عنهم لما حملت عليهم جرائم الهند
الاسلامية ورتبهم بالكفر والاطداد ، واسعة ط خليقة المسلمين السلطان عبد الحميد لاجل
ابطال الحكم الاسلامي ، ولما شاع أمر حبسهم بالدين وتصيبهم على العرب وشبرهم
تثبت في الحكم عليهم وذهبت الى الآمنة فأقت فيها سنة كاملة معهم ساعيا في
خدمة الاسلام عامة وفي التأليف بين الترك والعرب وحلت بالاختيار الطويل ان كل
ما قيل فيهم دون الواقع كما بيته في النار

وجلة القول ان منشور الشريف الذي كان قبل استقلاله في الحجاز أعظم
الامراء العثمانيين هو أعظم الحجج على ملاحدة الانحاديين ، كما أنه تأيد من سيد
العرب لطلاب الاصلاح من العرب ، لانهم بنوا معهم على أساس المحافظة على
الدولة العثمانية ، ومن قورعدهم ان لا يكونوا سببا من أسباب ضعف الدولة ولا تمزيق
وحدتها . وقد انسلخ من الدولة عدة ممالك وولايات بسوء سياسة الانحاديين :
البوسنة وهرسك وطرابلس الغرب وألبانيا ومكدونية : كريت وجزائر الارخبيل
الرومي ، - دع ولاية البصرة . ولولايات الارمنية والاناضولية التي ذهبت في
هذه الحرب - ولم يكن العرب سببا في زوال شي منها . فلهذا أكبر حججنا على
هؤلاء المحررين

باب الامر اسئلة والمناظرة

حال المسلمين الاجتماعية

(وفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)

للفاضل العمير - م . ن - صاحب الرسالة التي نشرت (في ج ١٠ م ١٨)

حضرة ختم الاسلام السيد الامام الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب

مجلة النار الاسلامية ١

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فلست صحفيا ولا من المشتغلين بالتحريير
ولا ببيع وقت فراغي كتابة المقالات ، وتنسيق العبارات ، فان في أعمالى اليومية
اشغلا شاغلا . فان اكتب اليكم فانما اكتب مدفوعا بمامل القيام بفريضة « الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر » التي عفا أثرها من بين المسلمين . اذ لولا صوت
المنار الحلي المرتفع الذي يدوي في الآفاق فيفتق أغشية الآذان ، ويرقق حجب
القلوب ويفتح الأبدان ، ويوقظ النائم ، وينبه الغافل — لولا ذلك الصوت المنعش
للنفوس المحركة لهم ، لصح أن يقال ، ولا عتب في المقال : ان الامة الاسلامية
شيخ بلا روح

كتبت رسالتى الماضية في موضوع الدعوة والارشاد ولم يكن لي غرض سوى
العمل بهذه الفريضة واقامة الحجية امام الله تعالى على المسلمين الذين تهاونوا فيه
وفي كل عمل اسلامي . وانه وان لم يكن الذي كبير أمل في أن يقدم المسلمون في
الحال ، ما يحتاج اليه لمشروع من المال ، فقد كان رجائي نظما في النجاح التدريجي
الذي يؤدي الى النجاح التام . ولكني ما كنت أظن أن يكون نصيب هذه الدعوة
الصمت والجمود اللذان يدلان على شدة ما تمناني الامة الاسلامية من أدائها
الاجتماعية .

لذلك حدثتني نفسي بعد طول الانتظار بأن أبعث اليكم بهذه الرسالة الثانية
زيادة في التذكير ، وتأكيذا للانذار والتحذير ، ولأبين ان المسلمين غير معذورين
في البقاء في هذه البؤرة النتنة ، وان وسائل النجاة والحياة في أيديهم والامر كله
متعلق بمشيتهم . وهذه هي الرسالة :

دعوت المسلمين في رسالتى الماضية لتنفيذ مشروع الدعوة والارشاد وما كنت
لأدعواهم الا الى حق وأرضحت لهم خطورة الحالة التي نحن فيها وما كان لي أن
أكذب ، وأمت لهم الدليل على أن المشروع كافل لاصلاح الحال ، وما كنت
الا صادقا . وانتظرت ماذا يكون من أمر هؤلاء وأطلت الانتظار فألفيتهم صموا
عن النداء ، واختاروا البقاء في الشقاء ، وما كنت مكرها لهم على ما ثقلت عنه
نفوسهم ولا اكراه في الحق

انه ليحزني أن تحجب دعوتي وليس ذلك لانها صادرة مني فما هي الاصدى
لاصوات صاحب المشرع ومن نصره فيه من قبلي ، وانما حزني وأسفني لحرمان
الامة الاسلامية من الخير العظيم الذي كان ينتظرها ان هي اجابتها، ولكن ما حيتي
وقد دعوت ونصحت وما فرطت ، والامة أعرضت وجهدت واستكبرت . وقد
فشلت دعوة الكثيرين من أهل الغيبة والاخلاص من قبل فلم ينتص إعراض
الناس عنها من قدر الحق ولا من قيمة مادعوا اليه شيئا، اذ الحق حي بذاته لا يضره
أن يكفر الناس به كما لا يرفعه أن يفلوا فيه . وان في ضياع صوت أستاذنا العظيم في
فضاء غفلة هذه الامة الجاهلة امهرة وذكرى للمتشائمين المتسرعين

انه يقع الانسان في الخيرة ويأخذه العجب الخبيث دعوة الحق بين المدايين
وفيها خيرهم وفلاحهم ونجاح دعوة الشرفيهم وفي اجابتها هلاكهم وشدة وهم. فما أشد
ظلمهم لاهل الحق الذين يغارون على الامة ويريدون لها الرشاد، وظلمهم لانفسهم
باتباعهم أهل الضلال الذين يسمعون في الارض بالفساد . ولقد ود المصالحون لو
أن الامة عرفتهم فأترتهم منزلتهم وسمعت لقولهم واقفت أثرهم فتهدت بهم .
لا بسأل هؤلاء الامة أجرا على عملهم فالحق والعمل الصالح إعلان أن يقوما بشي
من حطام الدنيا . وان أخذوا أجرا في الظاهر فليس هو في الحقيقة بأجر وما هو من
قبيل من شيء ، مباح ولكنه مال يسدون به عوزهم ويستعينون به على عملهم الذي يقيمون
به الخير الامة وسعادتها . انما أجرهم على الذي فطروهم وهو وحده الذي ية - ر عملهم
ويكافئهم عليه في دار غير هذه الدار . أما أهل الباطل والضلال فهم يفتشون السم
في النفوس والارواح بما ينشرون من رأي، ويدعون اليه من عمل ؛ ويسلبون أموال
الامة أجرا على هذه الضلالات، انهم لا يرجون عند الله ثوابا ولا بعد هذه الحياة
حياة. فهم لذلك يحمّلون على جمع المال بأي وسيلة تمكنهم منه، فهو غرضهم الذي
اليه ينتهي الامل ، والسبب الوحيد الذي يحركهم للعمل . هؤلاء هم رسل الشهوات
وأعوان الهوى وأولياء الشيطان، وأولئك هم دعاة الفضيلة وناصروا الحق وحزب الرحمن.
فيا ليت شعري أي الفريقين خير مقاما وأهدى سبيلا . ومن منهما أولى
بالاتباع وأقوم عملا وأحسن قبلا ؟ فياخلف خير أمة أخرجت للناس أنسبدلون

الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ وتندفعون الى الاوهام والضلالات مختارين
وتمسكون الى الشر؟

وذكر كثير من الناس لو يعرفون سبب هذا الجفاء بين المسلمين وأهل الحق
والصلاح وهم المحبون الصادقون، وعلة هذه المودة بينهم وبين أهل الباطل والفساد
وهم الأعداء الظاهرون. فإنه لا بد لذلك من سبب ومعنى عرف السبب زال العجب.

ليس العيب الذي تقدم ذكره هو الوحيد في المسلمين. والا فلماذا يمادي
هؤلاء المسلمون أنفسهم ويهبطون على أعدائهم؟ ولِمَ يمرضون عن مصالحهم
ويسارعون الى هلاكهم؟ وما الذي حسن اليهم الباطل وبغضهم في الحق؟ وأي
شيء سوغ اليهم ارتكاب السيئات وترك الحسنات؟ ولأي سبب يصاغفون الشيطان
وبغضون الرحمن؟ وما السبب الذي هبط بهذه النفس الانسانية الى درك الحيوانية؟

انه يوشك أن تكون جميع تصرفات المسلمين مخالفة للمقل والنقل وأحوالهم
مرذولة غريبة الشكل. وإنما هذه التصرفات والاحوال هي أعراض للمرض العام
الذي سكن في جسم هذه الامة فأضعف قوتها الحيوية وأسدل الحجب على بصيرتها
قبحت ما ليس بالقبيح ورأت حسنا ما ليس بحسن. فرض الامة هو سبب كل
ما تنكر من ميوها وحركاتها وسكناتها. فاذا عرف المرض عرف السبب

المرض أو السبب هو كما قال السيد الامام هو ضعف استعداد الامة وحرمانها
من الزعيم. وهو قول حق لا ريب فيه، اذ لو وجد الاستعداد والزعيم مما لمهضت
الامة من كبوتها وحييت حياتها الطيبة وفارقها الشقاء، وزال عنها ما نزل بها من البلاء
ولكن الى متى نسكت على هذا الضعف فينا ولا نباشر علاج أنفسنا؟ الآن وقد
عرف كنه المرض الذي أصابنا وسبب الضعف الذي أنهك قوانا فن السهل معرفة
علاج هذه الحالة أيضا. إنه وقد أمكن تشخيص الداء فما علينا الا أن نصف الدواء.

للعلاج ضعف استعداد الامة الا في أمر واحد وهو العلاج القديم الذي
ثبت صلاحه وتأكد نجاحه زلت في كل زمان وفي كل مكان وسار على سننه
الانبياء عليهم الصلاة والسلام في تبليغ رسالات ربهم عز وجل، وكذلك الصالحون
من بعدهم. ذلك العلاج هو اقامة فریضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر »

ان الناس أفلحوا وسعدوا ما عملوا بهذه الفريضة ونخابوا وشقوا ما أهملوها .
فكما أن داونا في تركها كذلك علاجنا في اقامتها . وقد جعل الله تعالى العمل بهذه
الفريضة شرطا ضروريا لصحة الايمان وهي أعظم ما فرض العالم الحكيم على أتباع
أنبيائه عليهم السلام ، فكانت ولا تزال اقامتها عنوانا على هداية الناس وسعادتهم ،
واهماتها دليلا على صلاحهم وخسراتهم واستحقاقهم للمنة « لتأمرن بالمعروف ولتنهين
عن المنكر أو ليرسلن الله عليكم شراركم فيدعوا خيياركم فلا يستجاب لهم » (لمن
الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا
وكانوا يعبدون » كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)

تركت الامة الاسلامية العمل بفريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر »
من عدة أجيال فتقلدت بذلك قوتها الحقيقية التي كانت تحمي بها الاموال والاعراض
والعقول والقلوب والاخلاق والدين من فتك الشهوات وهجمات الشياطين . وماذا
يفعل الاعزل من السلاح ، في ميدان النزال والكفاح ؟ صار أفراد المسلمين بعد
ذلك — وقد خفت صوت الامة وارتفع صوت الشهوات والهوى والشيطان ،
كالعقد الذي تبعثرت حباته أركذرات الرمال التي تتجاذبها الرياح والاهواء المختلفة
فضل الناس في الفهم والرأي والعمل ولا منكر ولا مرشد ، وانحلت الرابطة
وتفرقت الكلمة ، وتناكرت العقول والقلوب ، وضاعت الفضيلة ، وحلت محلها الرذيلة ،
واستبدل الجهل بالعلم ، وأوشك أن يكون الدين المعمول به عند الجماهير الآن
مجموعة خرافات وأوهام وضلالات ، وبدع ومنكرات وتقاليد وعادات ، وبالجملة
ان الحال قد تحول الى ما يرى كل انسان ، وليس الخبر كالمعاين . تلك عاقبة الذين نسوا
حظا مما ذكروا به باهمالهم هذه الفريضة فتولدت بذلك في الامة الامراض والعلل ،
التي أضعفت استمدادها للفهم والعمل ، فضل فيها صوت المصلح ، وخابت دعوة
الحق ، وما ربك بظلام للعبيد

وان تعجب فعجب أن يعتذر القادرون على الاصلاح عن اغفالهم ذلك الواجب
العظيم باعراض الامة عن الحق والخير وانصراف عقول أفرادها وقلوبهم الى الباطل
والشر ، ونسوا ان الامة ما سقطت في هذه الهوة السعمية ، الا بسبب اهمال هذه

الفريضة . كما غفلوا عن كونها أخرج الى الارشاد في هذه الحالة منها في سواها !
ان ما وقع من الامة من التفريط في جنب الله لا ينبغي أن يُستل عنه
سواها وان عليها ان تتحمل وحدها أثقله وتتجرع مرارته (ولا يزر وازرة وزر
أخرى) . فلا يصح ان يؤدي تفريط الامة في واجبها الى تفريط المؤمن في واجب
« الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » الذي فرضه الله عليه ، ولا يسقط عنه الا بأدائه ،
سواء استجاب له الناس أم لم يستجيبوا . ما كان ضعف استعداد الامة للحياة أو
بعبارة ثالثة ضعف قوتها الحيوية الذي هو نتيجة طبيعية لما كسبت أيديها كما تقدم
ليغير من موقف المصلح أمامها ، فهو مطالب على الدوام بأن يصدع بالحق وان كان
غريبا عن عقول وقلوب أكثر سامعيه ، وان يقرر الحقيقة وان لم يقبها الا نفر قليل
منهم ، ولد عوته مع ذلك حجة على الطائعات والفاسق ، وما الاخير لقلة استعداده بمدور
(كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * وقالوا قلونا غاف بل لعنهم الله بكفرهم فقليل
ما يؤمنون * ايس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء * ما على الرسول الا البلاغ)
وقد دعا كثير من أنبياء بني اسرائيل قومهم الى الحق فكذبوهم وقتلوهم . وما
كذبوهم وما قتلوهم الا لانهم لم يفتقروا دعوتهم أو لم يقبلوها . وكذلك كان شأن
الناس مع كثير من المصلحين . فما من دعوة الى حق الا وصادفت في أول أمرها
إعراضا عظيما ومقاومة كبيرة ممن جاءتهم ، حتى قيل انه لا أمل في قبولها . ومع ذلك
لم يكن ذلك الاعراض وذلك التكذيب وتلك الشدائد لوثر في همة أولئك الهداة
وعزمهم ، أو ترجعهم عن قصدهم ، فمن ذا الذي يجسر ان يقول ان عملهم كان لغوا
لان الناس لم يكونوا مستعدين له ؟ كلاب بل هو كل الحق والصواب وعين ما أمر
الله به وأوجبه عليهم وهو سبب كل ما وجد وما يوجد من خير واصلاح في العالمين
وعلة الحركة والحياة في الناس أجمعين .

ان كل دعوة لحق نصيب الغرض سواء أجيبت في الحال أم لم تنجب وسواء
أدرك للداعي نجاح دعوته في حياته ، أم حصل النجاح بعد وفاته ، فهي محدثة أثرها
على كل حال . فمثل الكلام الطيب والعمل الصالح وتأثيرهما في النفوس كمثل
التفاعلات الكيماوية سواء بسواء ، فان التفاعل الكيماوي حاصل وان كان أحيانا
(المنار : ج ٤) (٣٢) (المجلد التاسع عشر)

يسير ببطء تبعا لحالة المود وطبيعتها وقوة تأثيرها بعضها في البعض الآخر . وكثيرا ما تجري الحوادث الكونية بحيث لا تدركها الابصار ولا تناولها الحواس . فاذا مضت الايام أو الشهور أو السنون أو القرون فوجى العاقلون بالتأجج الصغبرة أو الكبيرة التي نشأت عنها ، وبالجملة انه كما ان لكل حركة أثر في مجموع ما يحيط بها من الاشياء كذلك لكل كلمة طيبة أو كلمة خبيثة فعلها في ردع الناس عن الشر أو اغرائهم به . أفليس من الوجوب علينا الاكثار من الكلم الطيب دعوة للخير ومقاومة للفساد الشر التي كثرت واستفحل أمرها ؟

ان الباطل عدو الحق كما أن الحق عدو الباطل . وهذه المداوة قديمة من عهد ان عرف حق وباطل وتبقى مستمرة الى ما شاء الله تعالى . فعلينا ان ننهض هذه الحقيقة ولا يطعن أحد في التوفيق بين عدوين هما أكبر خصمين في الوجود . انه لا ضرر على الحق من هذه المداوة أو الخوض التي لا مفر منها ، فالباطل أضعف من ان يقف امام حق والحق أقوى من ان يتازل - باطلا وما كان لباطل ان يوجد مع حق في ساحة فأين وجد حق لا يوجد باطل وان الباطل ليتضائل امام أشعة الحق كلما اقرب منه كما تتضائل الظلمة امام الضوء . ان الحق ثابت بنفسه والباطل ساقط بذاته أو بعبارة أخرى ان حياة الحق مستقلة باستقلال الحق ولا حياة للباطل الا باستناده الى الحق فهو أشبه بالخيال منه بالحقيقة . انه لا يطلب الباطل الا الحق فالباطل قوي ما غاب عنه الحق وكما انه لا سلطان لحق على حق كذلك لا نفوذ للباطل على باطل وكما ان الباطل يذهب بتقدم الحق فانه لا يترك مكانه للباطل مثله . فيلزم مواجهة الباطل بالحق على الدوام فموت الباطل في قرب الحق منه وحياة الحق في خفاء الباطل . ان الحق حق ولا يمكن ان يكون الاحقاء والباطل باطل ولا سبيل الى جملة حقا ، فلا بد من الخلاف والتصادم بينهما . ولما كانت مهمة الحق ازهاق الباطل ودأب الباطل الفرار من امام الحق والانتشار في الساحات التي لا سلطان له فيها ، وجب ان يتعقب الحق الباطل أينما حل وسار ، لينه له الانتصار .

لا هيب في الحق وانما الميب فيمن يدهون اتهم أهله اذا قصروا في القيام به ونصره ، والا تقبم يفتشى أهل الحق أهل الباطل وهو لاء ضمفاً بضمف ما لديهم

من باطل ، وأوثاك أقوىاء بما لديهم من الحق ؟ لا يجوز لاهل الحق ان يدعوا هؤلاء المبطلين آمنين مفرورين بزخرف الباطل مفتونين بظواهره الكاذبة حتى لا يكون ذلك اقرارا منهم لباطلهم ، بل ان الواجب اطلاق بلهم وقذفهم بالحق دائما بدون رافة أيضا ذهبوا أو حلوا أو وجدوا ، في غدوهم ورواحهم ، في نومهم وبتظتهم ، في أعمالهم وراحتهم ، الى ان يذهب نور الحق بظلمة الباطل ، ويعرفوا انهم لم يكونوا الا واهمين . ان نور الحق متى ظهر للناس لا يستطيعون نكرانه وان استطاعوا انكاره فلا يقدرّون على المجاهرة به . وان الاصرار على الباطل بعد أن يفضحه الحق قليل في الناس ، وانما يصر الا كثرون منهم على ما يصرون جهلا منهم وتوهمها أنهم على حق ، لا عذر في السكوت على الباطل فيجب أن لا يصد داعيا الى الحق صاد مهما عظمت المهمة وبعدت الشقة ، واذا بعد الناس عن الحق أو قل عدد الراغبين فيه منهم أو فقدوا في بعض الازمة أو الامكنة فان ذلك لا يجعل الحق غير حق ، ولا ينبغي ان يكون مانعا من الدعوة اليه اذ الباطل لا يصح ان يرضى به على أي حال . ان الحالة قاضية بتنبية المسلمين الى الخطر المحدق بهم ، وأن يقال لهم في وجوههم بصوت جهوري : انكم في هوة انحطاط سحيقة تجب للمبادرة الى انقاذ أنفسكم منها . ولا يمكن أن يقال لهم غير ذلك . ينبغي أن يقال للمسلمين : « يامعشر النساء ويامعشر الرجال انتم على باطل وضلال . وأن تقاليدكم وعاداتكم التي تدينون بها وتحرصون غاية الحرص عليها انما هي من مخترعاتكم ومخترعات آباءكم ، وأن العقل ينكرها وشرع الله يتبرأ منها . وهذه القبور وما حوت من عظام والاشجار والاحجار لا يمكن أن تتخذ وسيلة الى العالم الملام ، ولا سببا لنفساء الحاجات أو شفاء الاسقام ، وهذه الافكار الفلسفية والنزعات المادية التي اتبستم فيها سفهاء الافرنج بدعوى المدنية لم تكن الا نزغات شياطين . وهذا الفسق والفجور والعصيان من عمل الشيطان ولا يتفق مع رضاء الرحمن . وأن خطتكم التي تسبرون عليها الخطية عوجاء وهي سبب ما نزل بكم من البلاء . فارجعوا الى أصل الدين تكونوا من المهتدين » يجب أن يقال ذلك وماشاكاه للمسلمين وأن يبين لهم ما يقال تقريرا للعقول والافهام . فمن قام بذلك فقد قام بواجبه وليس عليه أن يبحث في مبلغ تأثير

كلامه في نفوسهم فليس عليه هداهم وانما الهدى هدى الله .
 قد يفقه المسلمون القول ويدركون الغرض المقصود منه في الجملة فيهمون أن
 يفتحوا عيونهم للنظر ويتحركوا للعمل ولكن قد تغلبهم الشهوات فيعرضون ،
 ويؤسوس لهم الشيطان فينكصون ، وعن اتباع الحق يعدلون . انهم عصوا لضعف
 استعدادهم ولكن ما حيلة الداعي وأمر استعدادهم بأيديهم ان شاؤا أصاحوه وان
 شاؤا زادوه ضعفا ؟ وما ذنبه والمرء لا ينفعه زجر زاجر ما لم يكن له من نفسه وازع
 (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)
 ان الناس مسؤولون عن ضعف استعدادهم كما أنهم مسؤولون عن ضياع كلمة
 الحق بينهم . وان ضعف استعداد الامة ناشئ عما ارتكبه من السيئات ، فيكفي منها
 الاقلاع عنها وعمل الصالحات ليبدلها الله تعالى من فضله حسنات . ما عذر هؤلاء
 المسلمين في هذا الانحطاط الذي انفردوا به وفيهم كتاب الله تعالى ، وأمامهم سنة
 رسوله (ص) وبن أيديهم آثار أهل الحق ورجال الاصلاح ، وتحت أنظارهم
 الامثال الحسية على قيمة العمل وعلو الهمة فيما يشاهدونه حولهم من الجهودات
 العظيمة التي تقوم بها الامم العريضة القوية ؛ ان المريض وان اشتد به المرض قد
 يجد الى الشفاء سبيلا باتباع أوامر الطبيب والعمل بارشاده . فلماذا لا تطلب هذه
 الامة شفاءها في القرآن الذي ما فرط الله فيه من شيء ففيه شفاء للناس ؟ ولم لا
 تستوضح ما أشكل عليها من سنة الرسول (ص) والمأثور عن السلف الصالح ؟ كل
 ذلك ميسورها سهل عليها . بل ما الذي يمنعها من الاصفاء لتنداء أهل الحق
 والاصلاح الذين يمن الله تعالى بهم على المسلمين من وقت الى آخر رحمة بهم اذا
 اشتدت الحاجة اليهم وزاد الكرب وضاع اللب وبلغت الروح التراقي ؟ لقد رزق الله
 الامة الاسلانية من هؤلاء في أقل من نصف قرن ثلاثة أقطاب كل واحد منهم يكفي
 للنهوض بالامة واسعادها لو وجدوا منها مسميها وناصرها ومطيعها . انه قضى منهم اثنان وهما هو
 ذا الثالث يترع بالحجة ويصدع بالحق تسعة عشر عاما فهل وزن قوله بميزانه وعرف
 له حتى الآن قدره ؟ ان صوت المنار لهو حجة ان الناطقة في الناس في هذا العصر وأنه
 وان ضاع حتى الآن بين أهل هذا الزمان فانه لا يضيع عند الله ولا في مستقبل الازمان

أفلا ينظر المسلمون إلى حالتهم ويرجعون إلى أنفسهم ليجدوا أنهم ضلوا ضلالاً بعيداً، وهل شيء أدل على ضعف دينهم وانحلال قوتهم من قيام قسيس في هذين اليومين يطعن في السنة وأشهر رواياتها وحملتها وينشر شبهته في مجلة سيارة ويدعو إلى الرد عليها ثمانمائة مليون من المسلمين؟

فأي برهان على فقر الأمة من الرجال أقوى وأظهر من سكوت علماءها عن رد مزاعمه وإبطال شبهاته سوى رجل الإصلاح الأوحيد ناصر الإسلام السيد الإمام؟ إن القسيس ما كان ليتحدى برسالته صاحب المنار فهو يعرف من هو، وكان يتمنى طبعاً لو لم يرد عليه بحرف واحد. قبل الأمة كلها صاحب المنار؟ وهل عدم المسلمون وهم يمدون بمئات الملايين من يستطيع إبطال الشبهة ورد الفرية سواء؟ قد يكون ذلك صحيحاً وبالأسف وقد لا يكون صحيحاً. ولكن الذي يلزم الاعتراف به هو أن الأمة سكمت لمن ادعى أنه هدم الأصل الثاني من أصول دينها وهو السنة النبوية وقد وقف أمامها يدعوا أفرادها كافة إلى الكلام، ويطلب منهم وهو فرد ضعيف الخروج جميعاً إلى الميدان، قبل نصدق بعد هذا دعاوي من تصدروا لإرشاد الأمة وسما أنفسهم رجال الدين وأئمة؟ وهل يفتر الغافلون بتظاهر أهل المآثم والفرجات من علماء هذا الزمان بالتقوى والصالح والخيرة على الدين والعمل لمصلحة المسلمين؟ ألا يت شعري بماذا يعلنون سكوتهم وقد وجب النطق واستنصر الحق؟ وبأي شيء يؤولون أهملهم فريضة « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » وهم أولى الناس بأقامتها؟

لأجواب على ذلك الآن اللهم مصروفة إلى غير تلك السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل لم تفقد الأمة الإسلامية استعدادها للعمل فقد تآمراً إذ هي لا تخلو من استعداد لقبول دعوة الخبير إلى حدماً والآ كانت شرّاً محضاً. ولا يوجد في الكون محض شر والآ لزال على الفور. فالذي نشكوه وعناه السيد الإمام هو ضعف الاستعداد لا فقد تماماً. وإنما ترفض الأمة الضعيفة الاستعداد دعوة الحق ولا تلبها في وقتها لتقصر في النظر وقلة في الفهم، وضعف في القلب. وليست معذورة في ترك العمل لضعف استعدادها وحرمانها من الزعيم أو الزعماء كما تقدم، فإن ذلك الضعف وذلك الحرمان منها وهي التي ولدتها كما تلد الأم ولدها

ألا ان الاستعداد لا يوجد في الامة من نفسه ولا يوهب لها كما يوهب المتاع. ولكن الامة هي التي توجد به تمهيد الاسباب له كما ان وجود الزعماء تابع لحركة الحياة فيها ، فهم أبنائها وهي التي تلدهم . فالامة هي التي توجد استعدادها كما تلد زعماءها ، وقد يكون الزعيم موجودا وهي لا تراه لعله في باصرتها أو بصيرتها فإذا زالت العلة بتقوية الاستعداد للاصلاح والتوجه لطلبه وجدته بين يديها وأمام عينها فالامر كله راجع الى الامة وهي التي عليها أن تحضر الدواء وهي التي عليها أن تتمطاه . فهي المريض ومنها الطبيب . وبعبارة ثانية ان الامة متى وجد فيها الاستعداد للحياة أوجدت طبيبها واستعدت لقبول دوائه ، فهي المطالبة باعداد الطبيب أو الاطباء وهي المطالبة بتجهيز الدواء وباستعماله في مقاومة الداء . انها هي المطالبة وحدها باقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » فان عجزت فقد عجزت عن الحياة ولا دواء ولا شفاء

لست أعني بهذا اني يشئت من حياة هذه الامة ، بل مرادي أن أقول ان حياتها لا تكون الا في العمل بهذه الفريضة التي هي العلاج الوحيد لمرضها . انه ما كان للسيد الامام وهو طبيب الامة الا وحده أن يباشر علاجها الا من هذا الطريق الطبيعي الامين ، وان يستعمل سلاحا لقطع عرق الفساد من أصوله غير ذلك السلاح الماضي . فلقد أحيأ هذه الفريضة ونصرها بلسان المنار الذي أنشأه وبلسانه على منابر الخطابة وفي الجمعيات والمفلات وفي مجالسه العامة والخاصة وقد ربي المنار رجالا يحبون الاصلاح ولكنه على ارتفاع صوته وعظيم قوته المستمدة من قوة لحي لا يزال عدد من رباهم قليلا واستعدادهم ناقصا . ولا يدل ذلك على تقصير لمنار بل هو علامة على استفحال الداء في جسم الامة. ولما رأى الرجل زاده الله علما وهدى أن تيار الفساد يشد اشتدادا ، وأعوان الضلال وأولياء الشيطان يزدادون ازديادا ، أدرك أن الامر يقضي بتربية فئة من المسلمين تربية عملية أخلاقية دينية عصرية ليجمع منهم سدا امام ذلك السيل الجارف الذي ينذر بأمر خطير وشر مستطير . انه أراد بتأسيسه [جمعية الدعوة والارشاد] أن يهب الامة كثرنا ثمينا لانقاذ له لتأخذ منه على الدوام حاجتها من الرجال القادرين على اقامة

هذه الفريضة التي لا قوام لها بدونها .

انه كان حقيقا بالمسلمين وقد أصبحوا على حافة الهاوية ان يشترخوا حياتهم باحياء هذا المشروع . ان الحياة أغلا من ان تقوم بمال . فهل كثر على المسلمين ان يشترخوا حياتهم بفلس لو قسم على كل فرد منهم ما أصاب الفرد بارة واحدة ؟ لهم يخلوا بهذه التبريمات ولذلك مات المشروع فمات بموته آمال عظام . انه مات صدقا ولكن ذلك لا يفرعنا فسيخلفه الله خاتما جديدا وما ذلك عليه بعزير . نعم مات المشروع بعد ان عاش أربع سنين عيشة مضطربة ، ولكنه سيمود باذن الله تعالى على أيدي أناس آخرين جديرين باحراز فخر القيام به . انه مات ولكنه في الحقيقة لم يموت ، فمات بشكله الذي انشئ عليه وعاد للحياة بعد تحوير في شكله الاول بقدر ما سمحت به الوسائل لصاحبه وسيبقى ما شاء الله تعالى حاكما على الامة بالضعف وللستاذ بملو الهمة والاختلاص . مات المشروع ليحيا المشروع . مات وحقيقة الامر انه حي لانه من الحق والحق لا يموت ابدا . ليكن مات في الظاهر ولكن صاحبه بفضل الله لم يموت ويبقى بتوفيق الله تعالى بالرغم من حسد الحاسدين سيما مسولا فوق رقاب المفسدين ، ووجهة لله تعالى على المجرمين ،

ليس غرضي الآن ان أعود فادعوك لى نصرة المشروع وقد رفضتم الدعوة من قبل وما أغنتكم النذر ، وانه أدعوك الى اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » فانظروا ماذا أنتم صانعون . اني أطلبكم باقامة هذه الفريضة التي لا مجال فيها للتأويل ، ولا للقل والقليل ، انه في اقامة هذه الفريضة علاجكم الوحيد فلا يصح ان تتوانوا في طلبه والا فهدم حياتكم .

ان الحالة وان اشتدت وتماظمت لا يجوز ان ييأس باشتدادها المؤمنون ، فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

نعم أنكم قطعتم في سبيل الضلال شوطا بعيدا وسطقتم في مهواة الخلية والخسران سقوطا شديدا ، وصرتم أحط أهل الشرق والغرب ، وضجعت من أفلاككم الارض واستغاثت السماء وفضب الرب ، ولكن العلاج لازال ممكنا وطريق السلامة أراه مفتوحا آمننا . ولا يهزكم لا السرعة في العمل ، قبل ضياع الأمل . فان نار الشهوات

والهوى التي أحرقت أجسامكم وأرواحكم تكاد تأكل ما بقي من رفق فيكم، فاحفظوا هذا الرفق وانجوا بأنفسكم والأهلكتم كما ملك من كان قبلكم وما أنتم بمعجزين .
يؤمني انه اذا دعا المسلمين داع لا يعرفون من المقصود منهم بالكلام فكل ينتحل نفسه الاهدار ويرى انه غير معني بقول ولا مكلف بعمل ! ذلك بأنه لا جماعة تجمعهم ولا سائل ولا مسؤول ! ولكن الله يعلم ورسوله وملائكته وأهل الحق يعلمون ان لا وظائف في الاسلام ولا رسوم ، فكل مسلم مخاطب بكلمة الحق مطالب بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، والامة كلها متضامنة في مسؤولية الرضاء بالحالة الحاضرة ، وعلى ذلك فأنا أوجه خطابي الى الامة جميعها ، وأعني به كل فرد من أفرادها ، واقصد بنوع خاص أهل العتل والفهم الذين لهم آذان يسمعون بها وقلوب يفتقرون بها ، اني أدعو هذه الامة الى اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وأخطب في شخصها المسلمين كافة صغيرهم وكبيرهم سواء منهم المعم والمطربش ، الكبير والحقير ، الفني والفقير ، التاجر والصانع ، صاحب الملك والمزارع ، الظاهري والعامي ، البدوي والحضري ، العربي والمجبي ، اني اطالبكم جميعا باقامة هذه الفريضة فان أجبتكم فان الله يعدكم من لذه مغفرة وأجرا عظيما وان يرفع عنكم هذا البلاء ، ويفيض عليكم رزقا ورحمة من السماء ، وان تولوا فحسبكم ما أنتم فيه جزاء في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى

أدعوكم أيها المسلمون الى اقامة هذه الفريضة ولا أخبركم بين اجابة الدعوة ورفضها لانه ما كان لي أن أخبركم بين الصحة والاعتلال ، والهدى والضلال . ولكم فيما عدا ذلك أن تعدوا وسائل العمل بحسب ما يروق لكم ، ولكن ذلك لا يمنعني أن أكرر النصح لكم بأن أقرب الطرق الى اقامتها على وجهها هو تنفيذ مشروع [الدعوة والارشاد] الذي دعوتكم الى تعظيمه في رسالتي الماضية . فان كنتم في ريب منه فأتوا بمشروع خير منه أو مثله للقيام بهذا الواجب الاكبر ، وتخليص الامة من هذا الكرب العظيم ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا وان تفعلوا فاعلموا أن مادعاكم اليه امامكم هو الحق المبين وانني لم أكن في ترديد دعوته غير ناصح أمين .

نشرنا هذه الرسالة ومنتشئ النار قد ذهب الى اداء فريضة الحج فتوجه اليها نظر المسلمين ونحس صاحب (الانتقاد على المنار) ص ١٩٠ ج ٣
صالح رضا